دنانير

مغنية الرشيد

اسمها معروف في عالم الغناء.

الشتراها رجل من أهل المدينة، فعلّمها الغناء والعزف حتى اتقنتهما وبرعت فيهما، فلما رآها يحيى بن خالد البرمكي، هزّه صوتها فاشتراها.

وكانت دنانير قد تعلمت الغناء على يد أمهر المغنيّن في عصرها: أمثال إبراهيم الموصلي، وإسحاق الموصلي، وابن جامع.

وذات يوم دعا يحيى البرمكي أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى قصره، حيث أولم له وأعد مجلس ترفيه وطرب، وهناك سمع الرشيد دنانير تغني بصوت أعذب وأرق من النسيم، ولفت نظره ضبطها الألحان والنغم، فأطربه شدوها وأثنى عليها وتعلق بها، فكان يترك قصره ويذهب إلى قصر يحيى خصيصاً كي يستمتع بغنائها ويسامرها، حتى أصبح مجلسه معها عادة محببة إليه، يهفو لها كلما ضاق صدره وزاد همه، فتزيح عنه الهموم بمنادمتها اللطيفة وصوتها الساحر، تخلب لبه بمهارتها الفنية وقدرتها

obeikandl.com

الإبداعية، كانت إذا لاح لها الخليفة مشغول الخاطر متعكر المزاج: تستخدم كل مهارتها وفنونها لتستميله إلى شذى الألحان، فتدهشه بأغنية تعصف بالقلوب، تغنيها بكل كيانها، كأنها تمتزج باللحن والأشعار، فيأخذه هذا من خواطره وينقله إلى عالم الفرحة والبهجة والنعيم، فينتشي وجدانه ويتجدد مرحه، حينئذٍ كان الخليفة يأمر لها، ويخلع عليها، وقد كان كريماً معها إلى أقصى حدود الكرم، لدرجة أنه أهداها مرة عقداً ثمنه ثلاثون ألف دينار!

ولقد أثار اهتمام الرشيد الكبير بدنانير: شكوك زوجته زبيدة، فإن زبيدة لم يعجبها أن ينشغل الخليفة بهذه الجارية، وأصبحت تغار عليه، خصوصاً بعد أن أهداها العقد، فجمعت أهله وعمومته وشكته لهم واتهمته أمامهم، فلما عاتبوه في أمرها قال: مالي في هذه الجارية من أرب في نفسها، وإنما أربي في غنائها فاسمعوها، فإن استحقت أن يُؤلفَ غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم.

وبالفعل اصطحبهم الرشيد إلى دار يحيى، فلما سمعوا غناءها علموا قدرها، فالتمسوا العذر له.

فقد كان هذا الصوت جديراً بأن يُسمع ويؤلف.

وبعد أن حدثت مذبحة الأسرة البرمكية، انتقلت دنانير إلى قصر هارون الرشيد، فلما طلب منها الغناء، أبت أن تغني حزناً على مولاها يحيى وإخلاصاً له، فاستدعاها الخليفة وأمرها بالغناء فقالت

له: "يا أمير المؤمنين، إني آليت على نفسي ألا أغني بعد سيدي أبداً" فغضب عليها الرشيد وأمر بصفعها وتأديبها وإرغامها على الغنـــاء، فلما فعلوا بها هذا تناولت العود وهي تبكي وأخذت تغني:

يا دار سلمى بنازح السند ... من الثنايا ومسقط اللَبد

لما رأيت الديار قد درست ... أيقنت أن النعيم لم يَعُد

لما سمعها الرشيد رق لها وعطف عليها، وأمـــر لـــها ووهبـــها حريتها، فانصرفت من قصره مالكة لأمرها وحريتها، وكان هنـــاك رجل يهواها: هو عقيل مولى صالح بن الرشيد، فأراد أن يتزوجـــها لكنها رفضت، فألح عليها، لكنها ظلت متشبثة بموقفها، رافضة كـــل العروض المغرية، مفضلة الوفاء التام لذكرى يحيى البرمكي، فمـــا كان منه إلا أن بعث لها يقول:

يا دنـــانير قـــد تنكَـــر عقلي ... وتحيرتُ بيـــن وعـــد ومطلِ

شغفـــي شـــاف،عي إليك إلا ... فاقتليني إن كنت تهوين قتلي

ما أحب الحياة يا أخت إن لم ... يجمع الله عاجلاً بك شمـــلي

لكن موقف دنانير لم يتغير، ولم تتزوج أحداً حتى آخر عمرهـــا، وتوفيت عام ٢١٠ هجري.

ومن أهم أعمالها: أنها ألفت كتاباً في الغناء، يعده المتخصصـــون مرجعاً فنياً هاماً وفريداً.